رسائل إسماعيلية قديمة نادرة

عبد الحميد الدجيلي

المصدر : مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع

رسائل اسماعيلية قديمة نادرة (1)

(٤) والمجموعة الرابعة تحت الرقم (٦٠٦) ، وبعنوان (الرسالة الدامغة في الرد على الفاسق النصيري) . وتحتوي هذه المجموعة على سبع وعشرين رسالة ، أولها (الرسالة الدامغة) التي تحوي تهماً كثيرة يرمي بها النصيري أصحاب تأليه الحاكم ، كتعطيل الأحكام وإباحة النساء للمؤمنين الموحدين ، وأن ذلك من الروابط المتينة بين الموحدين والموحدات ، والتساهل في الأخلاق العامة ، وتأليه الحاكم الذي لا يعدو كونه خليفة من خلفاء الفاطميين ، الى غير ذلك ؛ ورد أصحاب هذه النحلة على النصيري وإفهامه أن التأويل والتحليل للظواهر ليس معناه ايقاف العمل بالظاهر ، وليس معناه إباحة المنكرات كالسرقة والزنا ونحوها . ومهما كان ، فالرسالة صورة نادرة من جدل بين رجلين ، كلّ منهما لا يصدق في قوله مع الآخر . ومن الغريب أن النصيري ينكر عليهم تأليه الحاكم ، فيرده الموحد للحاكم بأنكم تؤلهون الإمام علياً ، وتأليه الحاكم أصح من تأليه الإمام علي الذي هو مستودع النبوة : « .. وأما قول النصيري بأن محمد بن عبد الله هو الحجاب الأعظم الذي ظهر مولانا الحاكم منه ، ومن لم يصدق فهو من أصحاب هامان والشيطان وإبليس ، فقد كذب في جميع ما قاله المنحوس النصيري . فما عرف الدين ولا الحجاب . ومحمد كان حجاب علي بن أبي طالب . وأما حجاب مولانا — جلّ ذكره — فلا . وهذا قول من عقله سخيف ، ودينه ضعيف ... » .

ويلي هذه الرسالة ، الرسالة الموسومة بـ (الرضى والتسليم) . وقد مرّ الكلام عليها في غير هذه المجموعة .

وتليها (رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين) ، رفعت الى الحضرة اللاهوتية وأطلقت ، وقد مرّ الكلام عليها في غير هذه المجموعة .

وتليها الرسالة الموسومة بـ (رسالة النساء الكبيرة) ، أولها : « توكلت على مولانا البارّ

(١) تتمة المقالة المنشورة في المجلد الثالث (٤٠٠ — ٤٢١) .

العليّ الأعلى على جميع الأنام ..... لا يجوز لـكُـنّ ، معاشر الوحدات ، أن تخفين ما أظهره مولاكن ، ولا تخالفن ما أمركن به ، فتشركن به وأنتن لا تعلمن ... أن المجلس نطق . سيطلع على منبري هذا تيس من تيوس بني أمية ، ويقوم من بعده فتى ثقيف آكل أموال اليتامى ، ويقوم الثالث فارغاً من الدين من غير أهل الدعوة صفراً من العلم ، ثم تسكون فترة وجيزة ، ويبقى بعد ذلك الحق غريباً ، ويقوم به غريب ... فنظرنا الى قوله « تيس » فوجدناه عبد العزيز ابن محمد ، ونظرنا إلى قوله « فتى ثقيف » فوجدناه مالك بن سعيد ، ثم نظرنا الى قوله « ويقوم الثالث » فعلمنا أنه أحمد بن أبي العوام ، إذ أشترط عليه مولانا — جلّ أسمه — أن لا يتكلم في الدعوة ، وأنه لا يعرف فيها شيئاً ... وأنقطعت المجالس ، ووقعت الحيرة (يقصد فقدان الحاكم) ... الى أن بلغ الكتاب أجله ، وجاء الوعد المعلوم ، وظهر ما كان مكتوم ، ووحد المولى من وحده على يد من أختاره ، وجعله لذلك أهلا .. [حمزة بن علي] .. » .

وتلي ذلك رسالة (الصيحة الكائنة) . وهي رسالة لها أهميتها التاريخية ، إذ تصف الثورات والحوادث التي وقعت أيام الحاكم ، وكيف كان المعـــارضون في أدعاء الألوهيـة . أولها : « ... رسالة من هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين ، بسيف مولانا سبحانه ، الى أصحاب نشتكين المعتقلين ... من عبد مولانا الحاكم الأحد ... ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد ... الى المعاند ومن معه في الأعتقال ، الصابين من عالم الضلال ... وما منكم أحد الا وقد نصحته ... فنكم من أستجاب ونكث ، مثل علي بن أحمد الحبّال الذي كان مأذوناً وعلى يده أستجاب نشتكين ... ، ومثـل العجمي والأحول وخطلخ ماجان وأشباههم ممن كتبنا عليهم الميثاق ، وباعوا الديانة بالأسواق ، ومالوا الى الشهوات ، فأخذ مولانا — جلّ ذكره — القصاص بالفراقه ، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . وأما أنت يامعاند وأبو منصور البردعي وأبو جعفر الحبال ، فما منكم أحد الا وقد دعوته الى توحيد مولانا — سبحانه — فأبيتم ، الا أبا جعفر الحبال ، فانه كان قد أجاب الى مبارك بن علي الداعي ، أيده المولى ، والذي معه ولعدعليّ ... وقد سمعت أنت يامعاند ومن معك من المكاويين القطارس ، مخاطبة المولى — جلت قدرته — ... وقد كنتم

يوم الكائنة زهاء خمس مئة رجل بالسلاح الشاك ، وأنتم عند الحرم ، فقتل منكم نحو أربعين رجلاً ، وهرب من هرب . ولو لا رحمة مولانا — جلّ ذكره — عليكم ، لم يخلص منكم أحد .. فلما كان اليوم الثاني ، وهو يوم الخميس ، لم يبق من العساكر مشرقي ولا مغربي ولا أعجمي ولا عربي الا وركب من كان فارساً ، وشد من كان راجلاً ، كل يطلب دمانا ، ومعهم النفط والنار ، والسلالم ونقب الجدار ... وأنا إن شاء مولانا — جلّ ذكره — أذكركم للحضرة اللاهوتية ، وإن كان ما يخفى عنها شيء من أحوالكم ... فأبشروا ، واعلموا أن الفرج قريب ، وسيعلم المرتدون والمنافقون لمن عقبى الدار ، والسلام عليكم . وكتب في شهر شعبان الثاني من سني عبده مولانا — جلّ ذكره — وصفيه حمزة بن علي ... الخ » . ومن هذه الفقرات التي نقلناها من هذه الرسالة الواقعة في أثنتي عشرة صفحة واسعة ، يعلم أن نشتكين الضيف داعي الدعاة الذي عارض في دعوى ألوهية الحاكم ، وطلب حميد الدين الكرماني من العراق للرد على أصحاب هذه النحلة ، قد خرج على الحاكم وثار ، وتغلب عليه الحاكم وأعتقله كما ذكر ذلك المؤرخون .

وتلي ذلك نسخة (سجل المجتبي) ، أولها : « ... توكلت على مولانا ، علينا سلامه ... ممل علة العلل وصفات الملة . من عبد مولانا ... حمزة بن علي ... الى أخيه وتاليه ، وذي مصة علمه وثانيه ، آدم الجزوي الذي أجتباه بعلمه ، وهداه بحلمه ، وغذاه بعلمه ، أخنوخ الأوان ، وإدريس الزمان ، هرمس الهرامسة ، أخي وصهري أبي ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي الداعي ، أطال المولى بقائك ... أما بعد ، يا أخي ابراهيم إني نظرت اليك بنور مولانا — جلّ ذكره — فجعلتك خليفتي على سائر الدعاة المأذونين ، والنقباء والمكاسرين ، وجميع الموحدين بالحضرة الطاهرة وفي سائر جزائر الأرض وأقاليمها ، وسميتك بصفوة المستجيبين ، وكهف الموحدين ، وذي مصة علم الأولين والآخرين ؛ وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الحدود : تولي من شئت ، وتعزل من شئت ، ... الخ » .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (تقليد الرضي سفير القدرة) . أولها : « الحمد لمولانا وحده ... من عبد مولانا ومملوكه قائم الزمان هادي المستجيبين ... الى الشيخ الرضي سفير القدرة

فخر الدين ..... أبي عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي . . . من مولانا الحاكم ... حمزة بن علي ... أما بعد ، فاني نظرت بنور مولانا ... فرفعت درجتك ، وأضفت الى منزلتك المنزلة التي كانت للشيخ المرتضى ، قدس المولى روحه ... وقد سلمت اليك جميع كتبه التوحيدية ، وجعلتك مقدماً على جميع الدعاة ... أخدم الحق ما يجب عليك من مذهب مولانا ، والطف بالدعاة وجميع الموحدين ... واستحثهم على الخدمة اللاهوتية ، وأمر النقباء بملازمة خدمتك ورفع ما يكون من الأخبار اليك وما يتجدد بالقاهرة وأخبارها ومصر وأعمالها ... الى آخر الرسالة ، وكلها وصايا لهذا الداعي .

وتلي ذلك نسخة (تقليد الداعي المقتني) . وهو على نسق التقاليد الماضية : « من هادي المستجيبين حمزة ... الى الشيخ المقتني بهاء الدين ولسان المؤمنين وسند الموحدين أبي الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف .... الخ » ، وهي تتضمن الوصايا الدينية التي يجب أن يقوم بها كل موحد ... وفي الرسالة مصطلحات حروفية ، وحسابات على الطريقة الجُمَّلية ، وتعابير تشرح التعاليم للدعاة ، وما الى ذلك .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (مكاتبة الى أهل الكدية البيضاء) . أولها : « توكلت على مولانا الحاكم ... الى أهل الكدية البيضاء ... سلام عليكم ... سلمتم من المحنة ... لا تستروا كتبكم عني ، وأرسلوها اليّ على يد الشيخ سفير القدرة اللاهوتية ... وان لم يعرف الرسول ، فليسأل المستجيبين عن حسن بن هبة الرفاء نقيب النقباء ، تدفع اليه كتبكم ... الى آخر الرسالة .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (الأنضاء) . وهي رسالة على طريقة الرسائل المتقدمة ، يوصي بها بعض المستجيبين ، ويشرح لهم بعض التعاليم .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (شرط الإمام صاحب الكشف) . وهي تشرح بعض الأحكام في الزواج والطلاق والأمور الاخرى ، وجهت الى حمزة بن علي بن أحمد ، فأجاب عنها .

وتلي ذلك (رسالة أرسلت الى ولي العهد عبد الرحيم بن الياس) من عبد أمير المؤمنين ... حمزة ... الى وليّ العهد ، الخ . والرسالة كتبها حمزة ، وأرسلها الى ولي العهد ، وقد طلب منه أن

يمحو أسمه من المخاطبات والخط ، ولا يقل : « أبن عم أمير المؤمنين » ، إذ كان منزهـاً . .
وسر هـــذا الطلب في هذه الرسالة لم يوضحه حمزة ، ولكن كتب التأريخ وضحت ذلك ، فقد تأخرت ولادة ذكر للحاكم ، فسمّى عبد الرحيم وليّ عهد ، ثم ولد له ذكر ، فأوعز على لسان دعاته أن يتنازل عن ولاية العهد . ولما تمانع هذا ، فرّقوا بين ولي عهد المسلمين وهو عبد الرحيم ، وولي عهـد المؤمنين وهو الظاهر ، لإعزاز أبن الله وولاية عهد المؤمنين ، يقصد به المستجيبين للمذهب الإسماعيلي . وأخيراً وبعد قتل الحاكم ، تنازل عبد الرحيم ، ثم قتل نفسه ، أو قتل على أختلاف في الرواية .

وتلي ذلك (رسالة عمار بن جيش السلماني المكاوي) . وجهها حمزة الى هذا الثائر على الحاكم ، يحذره فيها عاقبة ثورته وأعماله ، ويطلب منه أن يقـــدم العذر للحاكم ويطلب العفو قبل فوات الأوان .

وتلي ذلك (الرسالة المنفذة الى أحمد بن محمد بن أبي العوام قاضي القضاة من حمزة بن علي) يطلب منه أن يحسن القضاء ، ويفرق بين الذين يحضرون عنـده ، فمن كان من أصحابه يفتي له على مذهبه ، ومن كان من الإسماعيلية وعلى مذهب الخليفة الفاطمي يرسله الى حمزة بن علي ، ليقضي هو فيه أمره . والرسالة مهمة في بابها . ويظهر أن قاضي القضاة كان لا يهتم ولا يفتي على المذهب الاسماعيلي ، بل لا يهتم بالدولة والخلافة .

وتلي ذلك (مناجاة ولي الحق) . وهي مناجاة بليغة جداً ، ومن أقوى الأساليب العربية ، وتعـد من الطبقة الأولى في البيان . وقد كتبت على طريقة أفتتاح (الرمضانيات) التي تصدر كل رمضان المستجيبين من أتباع المذهب ، يصدرها داعي الدعاة . ولا تزال هذه (الرمضانيات) تصدر في الهند لدى (البهرة) .

ويلي هذه المناجاة (الدعاء المستجاب) . وهو كسابقه بلاغة وغرضاً .

ويلي ذلك (التقديس دعاء الصادقين لنجاة الموحدين العارفين) . وهو مثل سـابقه بياناً وبلاغة . وقد وجه هذا التقديس الى الحاكم .

وتلي ذلك رسالة في (ذكر معرفة الإمام وأسماء الحدود العلوية روحانية وجسمانية) . أولها : « توكلت على مولانا الحاكم المعبود ، واليه أشرنا بالوحدانية في سائر الدهور . الأسماء الواقعة على مولاي : قائم الزمان الأول ، علة العلل ، والثاني السابق ، والثالث الآمر ، والرابع ذومصة ، والخامس الإرادة ، العقل الكلي ، روحاني ، وأسمه الجسماني حمزة بن علي بن أحمد ... ومن بعده النفس الكلية ... وأسمه الجسماني أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد بن حامد التميمي ... ومن بعده الكلمة ... وأسمه الجسماني أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي . ومن بعده الجناح الأيمن ... وأسمه الجسماني أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري الداعي ... الى آخر ذكر الدعاة ووظائفهم وكناهم ومنازلهم . والرسالة مهمة في هذا الباب . وقائم الزمان الواردة فيها تعني الحاكم .

وتليها (رسالة التحذير والتنبيه) . وهي رسالة عجيبة بما فيها من غرائب ، أولها : « ... بأسم الأزلي القديم ، والمولى الكريم » . وهكذا على هذا الأسلوب تسير الرسالة . وتقع في سبع صفحات كلها في توحيد الحاكم وتأليهه ، وأسلوبها بليغ جداً ، ومن أبلغ المناجاة العربية .

وتلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (الإعذار والإنذار) على نسق الرسالة السابقة في توجيه الخطاب ، والتحذير من التفريط في توحيد الحاكم القهار . وتقع في ست صفحات ببيان بليغ في أعلى مراتب البلاغة .

ثم تلي ذلك (رسالة الغيبة التي وردت على يد أبي يعلى) . وهي رسالة خاطب بها أهل جزيرة الشام ، محذراً لهم بعد غيبة الحاكم بمدة شهور ، وطريقتها تمجيدية وتنزيه وتحذير من الخروج عن مذهب التوحيد بعد غيبة الحاكم . وتقع في أربع عشرة صفحة .

ويلي ذلك (كتاب تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون) تأليف اسماعيل بن محمد ابن حامد التميمي الداعي الشخص بذي مصة ، المنصص عليه من قائم الزمان ، يعني الحاكم . والكتاب فريد في موضوع عقائد هذه النحلة ، وفيه أمور لم أرها في كل هذه الرسائل ، أوله بعد تمجيد الحاكم وتأليهه ثم تمجيد الداعي الى التوحيد حمزة : « ... أما بعد ، فإنه لما سأل من

رغب إليّ الجواب عن كتاب يسمى تقسيم العلوم وكشف المكنون ، أمرني مولاي قائم الزمان بتصنيف هذا الكتاب ... العلم ينقسم على خمسة أقسام : قسمان منها للدين ، وقسمان للطبيعة ، والقسم الخامس فهو أجلها وأعظمها قدراً ، وهو القسم الحقيقي الذي هو المراد ، واليه الاشارات ومن أجله قامت الدار ، وظهر ما بين أهلها أمر مولانا الحاكم البار ... » وهنا يأخذ في وصف هذه العلوم ، وأنها تؤدي في غايتها الى عبادة الحاكم ... ثم يشرح فكرة النطقاء والأضداد ، مبتدئاً بآدم وابليس ضده ، حتى يصل الى قوله : « وقام محمد ، وأساسه علي بن أبي طالب ، ومبلغ عقولهم وأئمة دينهم ، الى أن انقضى دوره ، وظهر ناطق غيره ، وهو محمد بن اسماعيل .. والى الخلفاء المستودعين ، وهو الى أحمد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح ، وهو ولده سعيد بن الشلغلغ المهدي . وكان هؤلاء مبلغ عقولهم في معرفة التوحيد ... ولما أنشئت السماء الرابعة ، وهو قيام عبد الله بن أحمد وهو من ولد الميمون القداح أيضاً ، ظهر المولى ـ سبحانه ـ بصورة أسماها علياً ... وظهر السماء الخامسة وهو محمد بن عبد الله وسمي أيضاً المهدي سترة . وهو أيضاً من ولد القداح ، وكان من ولد الحسين . وظهر المولى ـ جل ذكره ـ بصورة أسماها المعلى ، وكان ظهوره ـ جل وعز ـ بديار تدمر وديار الشرق في زي تاجر ... وظهر السماء السادسة وهو الحسين بن محمد وهو من ولد القداح أيضاً ، وبقيت سورة التوحيد باقية على حال ظهورها ، وظهر السماء السابعة وهو قيام عبد الله بالأمر أبي المهدي .. وكان عبد الله قد سمي سعيد بن أحمد ، وهو المهدي الذي تسمى باسمه ... وكان أول ظهور المولى للعالم بصورة أسماها القائم ، وأول ما ظهر بمملكة الدنيا في ذلك الوقت . فخذ أيها الطالب ما آتيتك بقوة ، وكن من الشاكرين ... الخ » من ظهور وشروح بظهور الحاكم حتى تغيبه ... ويختم هذا الكتاب بقوله : « تم كتاب تقسيم العلوم ... وكان فراغه سلخ المحرم الثالث من سني ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين ... حمزة ... الخ » .

ثم تلي ذلك رسالة مهمة في تسع صفحات تحت عنوان (رسالة الزناد) . كلها براهين متنوعة على تأليه الحاكم ، ورد على بقية الفرق المعارضة لذلك ، وتأويل الكثير من الألفاظ القرآنية

كالجنة والنار ونحوها ، وأنها كلها ألغاز عن الحاكم وظهوره . وهذه الرسالة على صغرها من أدق الرسائل في هذه المجاميع ، ومن أعمقها فلسفة تأويلية ، وأكثرها سخرية ببقيـــة المذاهب الإسلامية . ويختمها بقوله : « فأحمدوا مولاكم على ما خصكم من نعمه ومنحكم من قسمه الى طاعته وطاعة وليه الهادي ... » .

وتلي ذلك الرسالة الموســـومة بـ (الشمعة) « وتطبيقها على فكرة التوحيـد والحـدود على السلك الثالث ، وهو مسلك التوحيد ، ورفعت الى الحضرة اللاهوتية ، وأطلقت بأمر مولانـا الحاكم الحكيم ... ألفها العبد اسماعيل بن محمد التميمي الداعي ، صهر مملوك مولانا ـ جلّ وعزّ ـ قائم الزمان ... الحمد لمن أبان توحيده باقامة حدوده ... والنار التي توقد الشمع دليل على حجته اسماعيل بن محمد بن حامد ... والشمع دليل على الـكلمة محمد بن وهب ... والقطن دليل على السابق سلامة بن وهاب ... والطست دليل على التالي علي بن أحمـد السموقي . فهذه خمسـة حدود ... ومن عدم معرفة هذه الخمسة حدود ، لم يعرف التوحيد في وقتنا هذا ، وكان توحيده دعوى ... والناس ثلاثة أجناس : فأهل الظاهر يقال لهم مسلمون ، وأهل الباطن يقـال لهم مؤمنون ، وأهل قائم الزمان (يقصد حمزة) يقال لهم موحدون . ومن أدعى التوحيد وهو بالظاهر والباطن كان كاذباً ، ومن دخل في طاعة قائم الزمان صار موحداً ... الخ » . ومن هذه الرسالة يظهر لك كيف أخذ هذا المذهب المسمى بمذهب التوحيد ينتقل بالتقديس الى حمزة بن علي ابن أحمد الأصفهاني ومَنْ بعده من الدعاة .

وتلي ذلك الرسالة الموســـــومة بـ (الرشد والهداية) . وقد تقدم الكلام عليها في المجاميع السابقة .

ثم تلي ذلك قطعة شعرية للشيخ أبي ابراهيم اسمـاعيل بن محمـد التميمي الداعي بعد حمزة والملقب بصفوة المستجيبين . وقد أرسلت من هذا الداعي الى أهل جبل السماق في سورية ، لتقرأ على كل موحد وموحدة ، أولها : « الى غاية الغايات قصدي وبغيتي ... » الى آخر ثلاثين بيتاً . وقد تقدم بعضها في المجاميع السابقة . والقصيدة كلها دعوة الى تأليه الحاكم .

وتلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (كشف الحقائق) في إحـدى وثلاثين صفحة ، في تأليه الحاكم والرد على الفرق الإسماعيلية التي عارضت فكرة التأليه . وقد مرّ الـكلام على هذه الرسالة مفصلاً في المجاميع السابقة .

(٥) والمجموعة الخامسة تحت الرقم (١٤١) وفيها رسائل عديدة في هذا المذهب . أولها رسالة ناقصة في أحوال أئمة هذا المذهب وأئمة الفاطميين بمصر ، ومما قال في ترجمة الحاكم : « ثم والد الحاكم بأمر الله بن العزيز الذي أشارت جميع الرسل اليه ، ودلّت جميع الـكتب عليه . وكان مولده سنة ٣٧٥ هـ ، وانتقلت اليه الخلافة سنة ٣٨٦ هـ ، فتظاهر بالإمامـة إحـدى وعشرين سنة مدة دعوة النذر الثلاثة المطلقين من قبل الحاكم ـ تعالى ـ وأولهم السابق أبو الخير سلامة ؛ لأنه سبق الشرائع الروحانية ، وأظهرها وهي المفترضات الدينية ... ثم ظهر بعده الـكلمة محمد ابن وهب القرشي ، فأنضاف الـسابق ودعاته اليه . ثم ظهر بعده النفس الـكلية اسماعيل بن محمد ، فأنضاف الـكلمة والسابق ودعاتها اليه ، ودعوتهم كلهم واحدة ، ومدة كل نذير سبع سنين ، وتظاهر الحاكم — تعالى — في مدة النذارة بمعاجز عظيمة من كسر الجيوش ، وقتل الرجال ، وكونه أنه رئي أنه مريض ويمشي في محفة تحملها أربعة من الأضـــداد أو المشركين ... ثم أعطاها الخلافة الظاهرة والباطنة لعلي الظاهر ، وأحضر قائم الحق حمزة بن علي ، صلى الله عليه ، وأعطاه الإمامة الحقيقية ، وأحضر الأربع بين يديه وبقية أحرف الصدق المئة والتسمة والخمسين ، يدعو الى كشف توحيد الحاكم — تعالى — على رؤوس الأشهاد ، ونشر قائم الحدود المذكورين في أقطار الأرض ؛ يبثون دعوته ، وينشرون حكمته ... واقتضت حكمة الحاكم أن يستتر في التاسعة حتى يطهر من نفوس المشركين ... فلما فرعت التاسعة ، تجلى الرب — تعالى — في أول العاشرة ، وأنكشف وأنكشفت الحدود ... ثم غاب — تعـالى — في تمام الحادي عشر ... وتخلف مولاي بهاء الدين لإعراض رسـائله عليه ، وأمتـداده به ، صلى الله عليـه . فما تمادت الفتنـة ، حتى ثار الدجال للمحنة ، على الموحـدين الذين هم عباد الحـاكم ... فلما أنتهى مولاي بهاء الدين من إقامة الحجـة على الخلائق ... غاب ، صلى الله عليه ، في حجب باريه ، وما بقي

غير القيامـــة والجزاء ، جعلنا الله من المقبولين ، ولا يجعلنا من النادمين ، إنه ولي الإجابة والتوفيق ...

ثم تلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (كشف الحقائق) . يذكر درجات العقل ووصف ألوهية الحاكم ، ويشرح المصطلحات عن الـكشف ، وتجلي الحاكم في القيامة ، وكيفية هـذا التجلي وكيف يظهر بناسوته ، الى غير ذلك من أوضاع التجلي والـكشف . ويظهر من هذه الرسـالة اقتباس هذا المذهب فكرة الحلول البرهمي ، وفكرة الاتحاد بالناسوت لدى المسيحيين . وهذا مما يؤيد ما قيل من علاقة الحاكم بأمه المسيحية ، وأنه كان يؤمن بهذه الفكرة اقتباساً من أمه ، حتى وجـد في بعض الأديرة المصرية القديمـة صورة الحاكم معلقة فيهـا كما روى (عنان) في كتابه في الحاكم .

وتلي ذلك (قصيدة في تأليه الحاكم) من نظم الشيخ جمال الدين بن الشيخ عبد الـكريم ابن الشيـخ سلطان من بلاد حلب ، تبلغ ستين بيتاً . ثم (قصيدة أخرى في وصف قائم الزمان حمزة بن علي ووصف مقامه) . ثم قصيدة تحت عنوان (من عند الشيـخ محمد والشيـخ أحمد من قرية الباروك الى حضرة السادة الإخوان) وهي قصيدة طويلة جـداً تشرح عقائد هـذه النحلة ومصطلحاتها .

(٦) والمجموعة السادسـة تحت الرقم (١٢٢٢) وهي مجموعة تحوي ٣٢ رسالة في هـذا الباب ، أكثرها موجود في المجموعة المرقمة بـ (٩٦٤) وإن كان ترتيبها يختلف عن ترتيب هذه المجموعة ، وإن كانت كلتاهما تبتدىء برسالة (السجل) ، كما أن هناك جملة رسائل لم تكن في تلك المجموعة . وهاك قبل الـكلام على بعض الرسـائل فهرست هذه المجموعة : (١) رسالة السجل (٢) في النهي عن الخمر (٣) حبر اليهود (٤) مكاتبة القرمطي (٥) ميثاق ولي الزمان (٦) النقض الخفي (٧) التوحيد (٨) ميثاق النساء (٩) البلاغ والنهاية (١٠) الغاية والنصيحة (١١) حقائق ما يظهر قـدام مولانا الإمام من الهزل (١٢) السيرة المستقيمة (١٣) كشف الحقائق (١٤) سبب الأسـباب (١٥) الرسالة الدامغـة . والى هنا ما في هـذه المجموعة من

الرسائل . أما بقية ما أذكره لك من الرسائل المذكورة في هذا الفهرست ، فليست موجودة في المجموعة الناقصة ، وهي : (١) سجل المجتبي (٢) السكدية (٣) الأجنة الكائنة (٤) شرط الإمام (٥) الرشد والهداية (٦) الدعاء المستجاب (٧) الغيبة (٨) الشمعة (٩) شعر النفس (١٠) المسدود (١١) المناجاة (١٢) الأنصاب (١٣) الإعذار والإنذار (١٤) التنزيه (١٥) القبى (١٦) التحذير والتنبيه (١٧) .....

وقد مرّ الكلام على (السجل) فلا حاجة الى إعادة الكلام فيه ، والرسالة الثانية الموجودة (سجل النهي عن الخمر) وفيه تحذير من شرب جميع المسكرات ، ومما جاء فيه : « وقد أمر أمير المؤمنين ، وبالله توفيقه ، بكتب هذا المنشور ، ليقرأ على الخاص والعام من الأولياء والرعية بالنهي عن التعرض لشرب شيء من المسكر على اختلاف أصنافه وألوانه وطعومه ، وكل شراب مما يسكر كثيره وقليله ، وترك التعرض لشربه ، والنهي عما يتمسك بـه الرعاع من التأويلات والدعاوي ؛ فان أمير المؤمنين قد حظر ذلك جملة ... حتى تطهر الممالك من سوء آثاره ، وجعل ذلك أمانة في أعناق المخلصين من أتباعه ... كتب سنة أربعمائة في شهر ذي القعدة ، والحمد لله وحده » .

والرسالة الثالثة (رسالة حبر اليهود وقسيس النصارى) . وهي رسالة تذكر أن علماء اليهود والنصارى في مصر اجتمعوا وكلموا الحاكم وحاجّوه على تشدده معهم ، وتمزيق كتبهم ، وتهديم بيعهم وكنائسهم ، وجواب الحاكم لهم . ومما جاء في المحاجّة : « لِمَ تُمْتَحَنا ما سمعنا أنت إياه : من هدم بيعنا وأديارنا ، وتمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا فيها حكمة ... حتى إنك أبحت التوراة والإنجيل أن يشد فيها الدلوك والصابون ، وتباع في الأسواق بسعر القراطيس الفارغة ، وقد أخبر صاحب الملة والشريعة عن ربه فيما نزل من قرآنه أن التوراة فيها حكمة بالغة ..؟ » . وكان جواب الحاكم أن الرسول محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، لما تسامح معكم على أمل عودتكم للدين الصحيح ، وأن يمهلكم كيما تتفكروا وتعرفوا خطأكم ، ولم تفعلوا ذلك . وإنكم تعلمون أنه سيأتي لكم من يعلن الحق والدين الصحيح ، ويبشر بالحق ، وأنه القائم بالأمر

والمهدي . ولا شك أنكم تعلمون أنني هو ذلك المذكور في كتبكم ، ولي الحق في توحيد الأديان وإرشاد الناس الى ما هو أنفع لهم . وإني جئت متمماً لما بدأ به محمد ، ومنظماً ومطابقاً لما أراده ولم يستطع تطبيقه من الشرائع الحقة ، لذلك يلزمكم أن تعودوا الى الطريق السوي ، إلى آخر ما ورد في هـذه الرسالة التي تمثل كثيراً من أعمال الحاكم الشاذة ، وتذكر سر هذه الأوضاع المتناقضة .

والرسالة الرابعة (ميثاق ولي الزمان) وقد مرّ الكلام عليها . والخامسة (النقض الخفي) وكذلك مرّ عليها الكلام . وأهم ما في هذه الرسالة أن الحاكم نفسه يذكر المهدي ، ويذكر أنه « لم يستطع أن يعمل كل ما يمكن من تعديل الشريعة وتطبيق الباطن ، وأنه كان نهاية دور الستر . أما الحاكم ، فهو أعظم الحدود ونهايتهم ، كما أن الهاء نهاية لا إله إلا الله ، ولم يظهر المهدي الى تمام دور محمد ، لأنه آخر دور الستر . أما نهاية النهاية ، فهو مولانا الحاكم المنفرد ... ورفع هذا الكتاب الى الحضرة اللاهوتية في شهر صفر سنة ثماني وأربعمائة من الهجرة وأولى سنين عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين ... حمزة ... الخ » .

والسادسة (رسالة التوحيد لدعوة الحق) وهي رسالة تدعو إلى تأليه الحاكم ، وأنه الواحد الأحد ، والى نسخ الشريعة والعمل بالباطن والاستدلال على ضرورة هذا النسخ ، كما فصّل ذلك في رسالة النقض الخفي التي مر الكلام عليها . ومما جاء في هذه الرسالة في هذا الموضوع : « والدليل على ذلك زوال الشريعة على الاختصار ، إذ لم تحمل هذه الرسالة طول الشرح . وقد بينت لكم في الكتاب المعروف بالنقض الخفي نسخ السبع دعائم ظاهرها وباطنها ، وهي : الحج ، والصوم ، والزكاة ، والصلاة ... وذلك بقوة مولانا — جلّ ذكره — ... عملت هذه الرسالة في شهر رمضان أول سنين قائم الزمان ، وهي سنة ثماني وأربعمائة للهجرة ... » . ويؤيد ذلك ما ورد في التأريخ في سنة (٤٠٠) سجل بإلغاء الزكاة والنجوى .

والسابعة (ميثاق النساء) وقد مرّ الكلام عليها ، وكل ما فيها حث النساء على الأخلاق الطيبة ، والعفة ، والمحافظة على الشرف ، والتجنب من الفسق والمجون والخروج على الآداب .

ومن الواضح أن أصحاب هذه الفرقة من أحرص الناس على أخلاق المرأة وعلى الحجاب ، ويشتد أستتارها من الخاطب والمطلّق ، والزنا جريمة لاتغتفر ، ولا يجوز التزوج بأكثر من واحدة مالم تطلق الأولى ، ويجري الزواج على وفق التقاليد الإسلامية المعروفة لدى المسلمين من خطبة ومهر ونحوهما . ولكن المرأة لاترث شيئاً من أبيها ...

والرسالة الثامنة (البلاغ والنهاية) . وهي كتاب واسع يشرح تأليه الحاكم ، وقد مرّ الكلام على هذه الرسالة . وفي آخرها : « كتبت في شهر المحرم الثاني من سني عبد مولانا ــ جلّ ذكره ــ حمزة بن أحمد هادي المستجيبين ... الخ » .

والرسالة التاسعة (الغاية والنصيحة) . وهي واسعة تقع في أربع وعشرين صفحة ، كلها تنصح الرعية والموحدين بتأليه الحاكم ، وتذكر عودته ومجيئه ، وتؤنب الشاكين والمخالفين ، وتشرح خصائص المذهب الإسماعيلي . أولها : « توكلت على أمير المؤمنين ــ جلّ ذكره ــ وبه أستعين ... من عبد أمير المؤمنين ... حمزة بن أحمد ... كتب في شهر ربيع الآخر ، الثانية من سني عبد مولانا ومملوكه ... حمزة ... الخ » .

والرسالة العاشرة (كتاب حقائق ما يظهر قدام مولانا ــ جلّ ذكره ــ من الهزل) . وقد مرّ الكلام على هذه الرسالة .

الرسالة الحادية عشرة (الرسالة المستقيمة في السيرة) . وأهم ما فيها وصف الثورات التي وقعت بين الحاكم والرعية ثم بين زعماء مذهب التوحيد وغيرهم ، وقد مرّ الكلام مفصلاً على هذه الرسالة .

والثانية عشرة (رسالة كشف الحقائق) . وقد مرّ الكلام عليها .

والرسالة الثالثة عشرة الموسومة بـ (بسبب الأسباب والكنز لمن أيقن وأستجاب) . وهذه الرسالة ، الفريدة في هذه المجاميع ، وليس لها نسخة غير هذه النسخة ، ولم أرَ من أشار اليها بين كتب الدروز المعروفة ، وهي ذات أسلوب فلسفي دقيق متقن في الأستدلال وذكر الحجج لهذا المذهب ، وفيها تهجم كثير على كتب المسلمين ورسائلهم الأدبية والفلسفية . ومما جاء

فيها : « أما بعد ، فقد وصلنا ـ أيها الأخ الشفيق ـ ما كتبته من عهدنا في طلب العلم الحقيقي ، وما يتقوّله هذا الفاسق الفسيق . وليس التوحيد كعلم الفلاسفة والتلحيد ، ولا كرتبة الدعاة والعبيد ، ولا الدرّة اليتيمة كالحجر الجليد ، ولا الأحدانية كالواحد المفيد ... بل الحقائق تأييد من العل الأزل ، الى عبده علة العلل . والعل هو الأحد ، والعلة هو الواحد الذي يفيد جميع العالمين ، وهم الدعاة والمأذونون والمكاسرون والمستجيبون .. » الى آخر ما في هذه الرسالة التي تفلسف هذه النحلة وتملأها تهاليل عجيبة .

هذا بعض نصوص ومنقولات عن هذه المجموعات النحلية النادرة ، تدل على أهميتها التاريخية . أما خط هذه المجموعات ، فبعضه يكاد يكون من خطوط القرن السادس الهجري ، وبعضه حوالي ذلك ، وبعضه من خطوط القرن التاسع ، وليس في كل هذه المجموعات تاريخ على عادة أغلب رجال الغلاة الذين لم يؤرخوا كتبهم ، وهي واضحة وجميلة ، ولكنها مملوءة أغلاطاً نحوية ؟

عبد الحميد الدجيلي